

المناهج النحوية والبلاغية بين الاستقلالية والتكاملية

حفظي حافظ اشتية

تمهيد وتحديد:

يأتي هذا البحث ضمن سلسلة أبحاث أخرى سبقته، استوحاها الباحث من تجربته في تدريس مادتي النحو والبلاغة لعدة عقود، وفق المناهج التعليمية "المدرسية والجامعية" المتبعة في الأردن، وغيره من البلاد العربية. هذه المناهج تقوم على الفصل التام بين النحو والبلاغة، وما زال يغلب عليها الفكر النحوي كما استقر عليه أمره في ألفية ابن مالك وشروحها، والفكر البلاغي كما آل إليه حاله في مفتاح السكّاكي والتلخيصات والشروح والحواشي التي دارت حوله.

والعلاقة بين النحو والبلاغة (المقصود علم المعاني)، قضية قديمة تطرق إليها القدماء، وكانت لهم مواقفهم النظرية أو التطبيقية في شأنها. كما أنها شغلت عددًا من الباحثين المحدثين، وتفاوتت آراؤهم بين مُقرّ للفصل بين العلمين، وداع إلى التكامل بينهما، بل ذهب بعض الباحثين إلى توحيد العلمين معًا في علم واحد.

شرع باب الحديث في هذا الأمر إبراهيم مصطفى، فجعل النحو جسمًا روحه المعنى، ودعا إلى إلحاق علم المعاني بالنحو^(١). وأيده في ذلك، وارتضى رأيه تلميذه مهدي المخزومي^(٢)، ودعا تمام حسان إلى أن يكون علم المعاني قمة الدراسات النحوية أو فلسفتها^(٣)، وأشار إلى كثرة الدعوات النظرية إلى هذا

١- ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٥٩م، ص١٩، ومواضع أخرى.

٢- ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦م، ص٢٢٦.

٣- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص١٨.

الأمر، لكن دون تطبيق^(٤)، وتحمس مازن المبارك للفكرة ورأى أن علم النحو وعلم البلاغة علم واحد^(٥). وعلى خلاف ذلك، يرى شوقي ضيف أن الأصح هو فصل العلمين^(٦). وتناول عبد الحميد السيد الأمر بقدر من التفصيل، لكنه كان مدافعاً عن النحو العربي بأنه يُغلب المعنى على القاعدة دائماً^(٧)، ولم يكن موقفه حازماً في تحديد العلاقة بين النحو والبلاغة، فهو يدعو في موضع إلى "ضرورة التخلص من مبدأ الاستقلالية في الدرس اللغوي"^(٨)، ثم يدعو إلى خلاف ذلك في موضع آخر فيقول: "لا شك أن استقلال كل مستوى بمباحثه ومصطلحاته أنفع في الدرس"^(٩).

يتقاطع هذا البحث، في بعض أفكاره وهمته، مع كثير من هذه الدراسات الحديثة، لكنه يختلف عنها في طريقة معالجته وكيفية تناوله ونهجه، فمعظم الدراسات السابقة لم تقم أساساً لمعالجة قضية هذا البحث، بل كانت تمسها عرضاً، أو على عجل، أو تعرض رأياً نظرياً غير مشفوع بمعالجات متأنية، وتطبيقات كافية، تصف الخلل في الفصل بين العلمين، وتدلل على أهمية النظرات النحوية البلاغية التكاملية في تناول بعض الأساليب اللغوية.

سيحاول هذا البحث تناول هذا الموضوع "العلاقة بين النحو والبلاغة"، تناولاً نظرياً تطبيقياً شاملاً، يتتبع العلاقة بين العلمين في مراحل نشأتها، ويصف الحال الذي كانت عليه هذه العلاقة في المؤلفات النحوية الأولى، ثم يرصد بدايات الانفصال بينهما، وكيف تأصل هذا الانفصال الظاهري وأصبح أمراً واقعاً؟ وهل حصل ذلك وفق خطة معلنة وعمل مقصود؟ وهل نجح دعاة الانفصال في أن يتناول كل فريق قضايا علمهم بمنأى تام عن قضايا العلم الآخر؟ وهل كان في ذلك فائدة جناها العلمان أو أي منهما؟

والإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، اقتضت أن يكون البحث في ست وقفات:

- التقارب بين العلمين في النشأة.

٤- المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

٥- ينظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، ص ١٣، ومواضع أخرى.

٦- ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م، ص ٦٣.

٧- ينظر: عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دارالحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م، ص ١٦٣.

٨- المصدر نفسه، ص ١٥٤.

٩- المصدر نفسه، ص ١٨٧.

- بدء الرحلة نحو انفصالهما.
- محاولة الجرجاني والزمخشري تصويب العلاقة بينهما.
- الدعوات النظرية الصريحة لانفصالهما.
- ماذا حصل عند التطبيق؟
- النتيجة، واستشراف الحل.

وفي هذه الوقفة الأخيرة، تناقش الآراء المحصّلة من خلال التتبع التاريخي لهذه المسألة، ويتم الوقوف بأناة على طائفة من الأمثلة التطبيقية التي تكشف المنهج النحوي والبلاغي الذي كان، والذي يطبق الآن، وتصف الصورة المغايرة التي ينبغي أن يكون عليها، لتصبح هذه الأمثلة نواة لمنهج نحوي بلاغي جديد قد ينهض له صاحب هذا البحث، أو غيره من الباحثين، فيتم تناول بعض الأبواب النحوية والبلاغية المشتركة على نحو يعظم الفائدة من العلمين، ويرسخ القناعة لدى الطلاب بجذواهما، ويقلل النفور منها.

سيتبع هذا البحث منهجًا وصفيًا نقديًا تحليليًا، مستندًا إلى منهج تاريخي في استعراض القضية وتتبع مسارها. وسيكون، في بعض مواضعه، على هيئة مرافعة مالت اللغة فيها إلى الحماسة، لعل الباحث يجد بعض عذر لأنه معنيّ بالأمر مدار البحث، مُعنى بهمه، وجد نفسه مضطرًا خلال عشرات السنين إلى تكرار بعض القواعد النحوية، والحدود البلاغية، يحاول إقناع طلابه بما يحتاج هو إلى القناعة به.

التقارب بين العلمين في النشأة:

نطق العرب على سجيّتهم وفق ضوابط طبيعية مكتسبة للمفردات، وسلامة التراكيب توارثوها وألفوها وحرصوا عليها، ودبت المنافسة بينهم في أسواقهم، ومواسم حجيجهم وتجمعاتهم، فتمايزوا فيما بينهم، وتفاوتت مستوياتهم قياسًا إلى تلك الضوابط الموروثة. ونبغ شعراؤهم اعتمادًا على التزامهم لغة عالية مشتركة منشودة، ترفعت عن مزلق اللهجات. وجاء القرآن الكريم ليرتقي بهذه اللغة المشتركة العالية، فأكد رقيها وصبغها بالقدسية، وجعل منها الهدف المنشود لطلاب البلاغة، والمعيار السديد في الحكم على مستويات الكلام.

ثم حمل المسلمون هذه اللغة إلى الديار الجديدة التي فتحوها وسكنوا فيها، وخالطوا غيرهم من الأمم، ودخل في الإسلام عناصر لم تكن العربية لهم لغة أمّ، فدبّ الفساد في الألسنة، وفشا اللحن بين العامة أولًا، ثم أصاب الخاصة، وظهر خطره الأكبر عندما وقع في القرآن الكريم.

وبحسب حضاري مرهف وجهود صادقة ضخمة، انبرى العلماء يتصدون لهذا الخطر الداهم، فكانت جهود أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) (١٠) وتلاميذه، وثلة من العلماء الرواد كانت جهودهم مداмик متلاحقة متعاقبة، تعلي البنيان اللغوي عامّة، والنحوي البلاغي خاصّة إلى أن تمثلت على يدي سيبويه (١٨٠هـ) في الكتاب قمة شامخة، ما زلنا نرنو إليها، ونودر في فلکها إلى يومنا هذا، ففي الكتاب بدت العلوم اللغوية نسيجًا متماسكًا، وبدا النحو علمًا محكمًا قائمًا على أركان ائتلافية من الكلام العربي المستقرأ الفصيح، المحدد زمانًا ومكانًا. والكتاب يُعدّ باطمئنان المادّة اليقينية التي تصف الجهود اللغوية الأولى، وترسم ملامحها، وهو موسوعة التأمّت فيها والتحمت الأنظار الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، ويمثل صورة صادقة للمعالجة الدقيقة للنسيج اللغوي، ونظرة شمولية لمستويات اللغة، وتتجلى فيه العلاقة الوثيقة بين النحو والبلاغة، وهذا هو محط عناية هذا البحث.

ولا يجد الباحث المتصفح لـ: الكتاب عناءً يذكر في التقاط الكثير من الأبواب والأنظار التي أصبحت فيما بعد أبوابًا بلاغية لا تكاد تغيب عن الكتب البلاغية المتخصصة عبر القرون، وقد ظهر بوضوح أن النحو بين يدي سيبويه لم يكن مقصورًا على تتبع حركات أواخر الكلمات، وإنما تعدّى ذلك في الكثير من المواضع ليرتقي إلى دراسات أسلوبية تتجاوز الكلمة إلى الجملة والجمل ونظم الكلام، ففيه وقوف مبكّر بصير على قضايا بلاغية مثل: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والإضمار، والاتساع، والإيجاز، والحذف، وأضرب الخبر، وأغراض الاستفهام، ... وفيه نظرات ثابتة حول تحكيم المعنى في ضبط الكلام، وتفاوت مستوياته حسنًا وقبحًا، واستقامة وإحالة، ودرجة استعمال، وفيه أفكار متبصرة في استنطاق ظروف المتكلم والمستمع، واستدعاء للمقام، وسياق الحال.

ومقام هذا البحث لا يحتمل التدليل على كل ذلك، والتمثيل له بالتفصيل^(١١)، فالأفكار

١٠- حول انتشار اللحن، ونشأة النحو العربي، وعلمائه الأوائل، ينظر مثلًا: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الأنباري، (٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط٢، ١٩٧٠م، ص ١٧.

١١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م. يكفي الإشارة إلى أن أول خمسة أبواب في الكتاب تقع في صميم البلاغة. وهي: باب المسند إليه، ج ١، ص ٢٣، وباب اللفظ للمعاني، ج ١، ص ٢٤، وباب ما يكون في اللفظ من الأعراس، ج ١، ص ٢٤، وباب الاستقامة من الكلام والإحالة، ج ١، ص ٢٥، وباب ما يجتمل الشعر، ج ١، ص ٢٦. ولزيد من الأمثلة ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٥م، ص ٦٦.

البلاغية منثورة في أركان الكتاب، قد خالطت الأفكار النحوية واعتلقت بها في كل باب، ولعله يجزئ أن نتذكر أن مصطلح الإسناد (المسند والمسند إليه) قام بوحى منه البناء البلاغي، وتفرع إلى الأبواب الثمانية المعروفة في علم المعاني، وأن الجرجاني (٤٧١هـ) "شيخ البلاغة"، وكثيراً من علماء البلاغة المشهورين، قد رددوا بعض تعليقات سيبويه لفظاً ومعنى، وكرروا الشواهد المضمنة في كتابه، بل أخذت الحماسة بعض الباحثين المحدثين فعدّ سيبويه مؤسس علم البلاغة^(١٢).

وعلى نهج سيبويه سار مشهورو العلماء اللغويين والنحويين والمفسرين، فهبت للبلاغة نسائم في الموسوعة اللغوية التفسيرية: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠١هـ) وكان عنوان الكتاب مشتبهًا، لكن فيه دلالة كافية على أن البلاغة تعلن عن قدمها^(١٣). وأما الفراء (٢٠٧هـ) فكانت النظرة الشمولية لمستويات اللغة كافة هي المهيمنة على كتابه معاني القرآن وضمّنه، على نحو طبيعي غير مصطنع، كثيرًا من الإشارات البلاغية، وقد وقف على دقائق أسلوبية، وطرق أبوابًا تربعت، في ما بعد، الصدر في الكتب البلاغية: على سبيل المثال يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(١٤). ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(١٥).

لم يكتف الفراء بالوقوف على حركات أو آخر الكلمات في هاتين الآيتين، بل استوقفه الأسلوب، إذ غابت الواو قبل الفعل "يدَّبِّحون" في الآية الأولى، وظهرت في الثانية، فقال: "وقوله هاهنا 'ويدَّبِّحون'، وفي موضع آخر 'يدَّبِّحون' بغير واو... فمعنى الواو أنهم يمسهم العذاب غير التذبيح، كأنه قال يعذبونهم بغير الذبح والتذبيح، ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب"^(١٦).

-
- ١٢- ينظر: أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجائها، شركة البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٠م، ص ٤٣.
- ١٣- ينظر: معمر بن المثنى أبو عبيدة، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي بمصر، والكتاب في مجمله موسوعة لغوية بلاغية تفسيرية.
- ١٤- سورة البقرة، الآية: ٤٩.
- ١٥- سورة إبراهيم، الآية: ٦.
- ١٦- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٦٨. وينظر آراء بلاغية أخرى له في: ج ١، ص ١٠٣، ١٩٥، ٤١١، وللمزيد ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ١٣١.

هذه اللمحة الموجزة في كلام الفراء كانت الإضاءة التي استهدى بها البلاغيون بأخرة، وهم منغمسون في المسائل الشائكة في مواضع الفصل والوصل بين الجمل، وهو أحد الأبواب الرئيسة في الكتب البلاغية.

ومضى ابن جنى (٣٩٢هـ) على مثل هذا النهج من توحيد النظر النحوي البلاغي، فضمّن كتابه الخصائص كثيرًا من المعالجات البلاغية، بل أفرد فيه بعض الأبواب لقضايا بلاغية صرفة أصبحت فيما بعد أبوابًا مقيمة في الكتب البلاغية المتخصصة، وهي قضايا أسلوبية محضة، جعلها تحت عنوان "شجاعة العربية" (١٧)، عرض فيها موضوعات مثل الحذف، والتقديم والتأخير، في صعيد جامع، وعلى نحو مدهش. وابن فارس اللغوي (٣٩٥هـ)، ينشر البلاغة في كتابه الصحاح في فقه اللغة وسنن العربية، فهو يتحدث عن الحذف، والاختصار، والزيادة، والتكرار، والتقديم، والتأخير، والحقيقة والمجاز،... أما حديثه عن معاني الكلام (١٨) المستوحى من حديث ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه تأويل مشكل القرآن، فقد كان الأساس لهذا الموضوع الرئيس من مواضيع البلاغة، واستوطنت أفكاره ومصطلحاته عن "الخبر والاستخبار، والأمر، والدعاء، والطلب، والعرض، والتحضيض، والتمني، والتعجب" كتب البلاغة وتصدرتها. بدء الرحلة نحو انفصالها :

ثم كان من الطبيعي، مع توالي العصور وتعاور الأنظار وتلاقح الأفكار، أن تبدأ البلاغة بالتسلل خارج الكتب النحوية، وتتجه نحو التفرد والاستقلال، فأطلت برأسها في كتاب البديع لابن المعتز (٢٩٥هـ)، ثم بزغ نجمها واعتلى في نقد الشعر لقدماء بن جعفر (٣٣٧هـ)، والصناعتين للعسكري (٣٩٥هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني (٤٠٣هـ)، والعمدة لابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، وسر الفصاحة للخفاجي (٤٦٦هـ). وكانت تغلغل في الكتب الأدبية ك: البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ)، والكامل للمبرد (٢٨٥هـ)، والنقدية ك: الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ)، و الموازنة بين الطائيين للآمدي (٣٧٠هـ)، ووجدت الصدارة في بحوث إعجاز القرآن، ك: رسالة الرماني (٣٨٦هـ) والخطابي (٣٨٨هـ)،... إلخ.

١٧- أبو الفتح عثمان ابن جنى، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ج ٢، ص ٣٦٠.

١٨- أبو الحسين أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويبي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م، ص ١٧٩.

وبدا بذلك، كأن البلاغة قد شبت عن الطوق، واشتد ساعدها، وأثبتت وجودها، علماً قائماً برأسه. وقد صاحب ذلك انفتاح على التراث اليوناني، وولع بما فيه من أفكار الفلسفة والمنطق، وتأثر بها المناخ الفكري العربي الإسلامي العام، واستند عليها علماء الكلام، وحاجَّ بها أقطاب الفرق الإسلامية. ولم يكن النحو العربي بنجوة من هذا الجو، فولغ في هذه المعطيات، وتسربت آثارها في الفكر النحوي، وتسربت بتعقيدها المؤلفات النحوية، وكان لذلك تأثير بالغ في علاقة النحو والبلاغة، بل في المنهج النحوي، إذ ظهر ما يبدو كأنه شقاق بل انشقاق بين مناهج النحاة.

وقد صور أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) هذا الانشقاق بينه وبين أبي الحسن الرماني الذي كان يتعاطى المنطق فقال: "إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني، فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء" (١٩).

وقد أدرك الناس هذا التفاوت في المنهج النحوي، ووظيفة النحو وغايته، بين كبار النحاة: قال بعض أهل الأدب: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً!! ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه. فأما من لا نفهم من كلامه شيئاً فأبو الحسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي" (٢٠).

وإذا كان أبو علي الفارسي يجد نحوه غريباً عن نحو الرماني، كما ورد في النص السابق، وإذا كان أهل الأدب لا يكادون يفهمون نصف كلام الفارسي، فلنا أن نتخيل الحال التي آل إليها النحو، والحاجز الهائل الذي حال بين النحو وغايته من فهم وإفهام، ولنا أن نتخيل أيضاً أن البلاغة لن تجد لها مكاناً طبيعياً في بيئة نحوية عقلية بدأت تتجه نحو الشكلية، والاقْتصار على تفسير حركات أو آخر الكلمات. أدركت فئة من النحاة أن النحو ينزلق بعيداً عن غايته، فعلت أصواتهم يرشدون من ضل، ويجهلون في تصويب مسار النحو، وإعادته إلى نهجه السديد وعاداته.

ورد مثل هذا في المناظرة الشهيرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ)، ومُتّى بن يونس (٣٢٨هـ) في مجلس الوزير ابن الفرات (٣١٢هـ)، فيقول السيرافي: "معاني النحو منقسمة بين حركات

١٩- ابن الأثيري، نزهة الألباء، ص ٢٣٤، وينظر: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٢، ص ١٨١.

٢٠- ابن الأثيري، نزهة الألباء، ص ٢٣٤.

اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سالماً بالاستعمال النادر، وبالتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم" (٢١).

إلى عهد السيرافي هذا، كان بعض النحاة ما زالوا يفهمون وظيفة النحو بأنها تتجاوز تتبع أواخر الكلمات إلى تفهم المعاني وراء ذلك، وأساليب التضام بين الكلام.

انتصر السيرافي في هذه المناظرة، لكن آثار ذلك الانتصار المدوي لم تصمد طويلاً، فقد فعل الزمن فعله، ومضى النحو نحو غاية كأنها محتومة، متباعدًا عن الاهتمام بالمعاني، والأساليب البلاغية، ومغرقًا في الالتفات إلى لوازم الصنعة النحوية، فتعالى نفور الناس منه، وكثرت الدعوات إلى التخلي عنه والزهد فيه، فكان لا بد من محاولة إصلاح الخلل، وإعادة الاعتبار للنحو، بإعادته إلى مساره الصحيح وهدفه السليم، فانبرى الجرجاني لهذه المهمة.

محاولة الجرجاني والزخشري تصويب العلاقة بينها:

كان واضحًا جدًا في نظر الجرجاني أن النحو في مأزق، بسبب منهجه أولاً، وبسبب نظرة طائفة من الناس إلى غرضه وجدواه ثانيًا. فهذه الطائفة كما يرى تظن النحو "ضربًا من التكلف، وبابًا من التعسف، وشيئًا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل"، ويشير إلى الخلل الذي أصاب المنهج النحوي، فجعل هذه الطائفة ترى "أن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ... فضل لا يجدي نفعًا، ولا تحصل منه على فائدة" (٢٢).

وسرعان ما يشنع على هذه الفئة الزاهدة في النحو، المتهاونة به، المصغرة لأمره، فيرى صنيعهم هذا أشبه بالصدّ عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه، ويبادر إلى توضيح فهمه للنحو ولوظيفته ولأهميته مبينًا "أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ولا رجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه" (٢٣).

٢١- علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية،

بيروت وصيدا، ج ١، ص ١٢١.

٢٢- دلائل الإعجاز، ص ٨.

٢٣- المصدر نفسه، ص ٢٨.

ويجرد من نفسه مدافعاً عن رأي الزاهدين في النحو، وفق أسلوبه العقلي الحكيم، ويعرض وجهة نظرهم لمناقشتهم: "فإن قالوا: إنا لم نأب صحة هذا العلم، ولم ننكر مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله تعالى، وإنما أنكرنا أشياء كثرتموه بها، وفضول قول تكلفتموها، ومسائل عويصة تجشمت الفكر فيها ثم لم تحصلوا على شيء أكثر من أن تغربوا على السامعين، وتعايوا بها الحاضرين" (٢٤).

ويستعرض بلسانهم بعضاً مما شاب المنهج النحوي من التواء عن دربه، وخروج عن غرضه، فيقر بوجود أوجه الخلل كانتشار الرياضات العقلية، والتارين غير العملية، والمبالغات في القياس والعلل، ويوافقهم على وجوب الإصلاح. ثم يقتادهم إلى لباب النحو، لتعرض عليهم أبوابه كلها واحداً واحداً، ويسألوا عنها باباً باباً، ثم تتم مواجعتهم باختبار أحد أمرين: "إما أن تقتحموا التي لا يرضاها العاقل فتتكروا أن يكون بكم حاجة في كتاب الله تعالى، وفي خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي معرفة الكلام... وإما أن تعلموا أنكم قد أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم، وظننتم ما ظننتم فيه فترجعوا إلى الحق" (٢٥).

ثم ينهض لإقامة معمار نظرية النظم، ويجعل عمادها علم النحو: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها" (٢٦). ثم يستعرض أمثلة يقلب فيها التركيب النحوي للعبارات، ليدلل على التقلب في المعاني الذي يترتب على ذلك، كاشفاً أسرار العلاقة المحكمة بين أحكام النحو والمعاني المرادة، وبين ترتيب التراكيب الخارجى المستوحى من ترتيب المعاني في أعماق النفس: زيدٌ منطلق، زيد ينطلق، ينطلق زيدٌ، زيد المنطلق، المنطلق زيد، زيد هو المنطلق، زيد هو منطلق.

النظرة الأولية العجلى في هذه التراكيب تلحظ معنى بدائياً يربط مسنداً بمسند إليه: "الانطلاق وزيد". لكن الصور التي تعاورت هذه التراكيب، جعلت لكل منها معنى قائماً برأسه، له ظروفه ومقامه وسياقه وغرضه، وجعلت وضع تركيب مكان آخر قصوراً في أداء المعنى كما ينبغي، أو خطأً في التعبير خلافاً للمراد.

وبعد أن يستعرض أمثلة أخرى في الشرط والجزاء، والحال، ومعاني الحروف، ويشير إلى مواضع الفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والإضمار والإظهار يبين أن

٢٤- المصدر نفسه، ص ٢٩.

٢٥- المصدر نفسه، ص ٣١-٣٢.

٢٦- المصدر نفسه، ص ٨١.

لذلك كله أحكاماً وقوانين يجب أن تراعى عند الاستعمال، ثم يطلق حكمه الحازم: "هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له" (٢٧).

والنحو، كما يراه، لا تقتصر وظيفته على ملاحظة الصحة والخطأ، بل تمتد إلى المزية والفضل، "فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه" (٢٨).

ويشرع في تطبيق ذلك، ويصرف همه الأعظم لرفع قواعد نظرية النظم وأركانها، ويجعل وكده كله في إجلاء فكرتها والمحااجة دونها، وليقفنا على مراده فيبدو النحو والبلاغة بين يديه اثنين في واحد. وهو لا يني ييدي ويعيد ليقنع المتلقي، ويثبت في ذهنه ما يريد، بأن السلك الحريري الذي يجمع شتات المفردات، ويجعل لها معاني وأفضالاً إنما هو النحو، والذي يبحث عن تلك المعاني والمزايا خارجه إنما هو في عمياء من أمره، "ذلك لأنه إذا كان لا يكون النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم، ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم" (٢٩).

إنني أوسع البحث في النقل عن الجرجاني، وأفيض في استعراض أفكاره، لأن في هذه الأفكار تشخيصاً دقيقاً لحالة النحو التي كانت وما زالت، وفيها وصف بالغ الدقة لروابط النحو والبلاغة، وضوابط العلاقة بينهما.

مضى الجرجاني في تطبيق أفكاره التي زرعت كتابه دلائل الإعجاز عرضاً وطولاً، وهو دائب في إثبات اللحمة العضوية بين النحو والبلاغة، فالنحو توأم البلاغة، والبلاغة متممة النحو، والانفصام المصطنع بينهما فيه إضرار كبير وخطير بهما معاً. ومن الإساءة البالغة للنحو أن يمحصر في تتبع حركات أواخر الكلمات، لأن غايته أعلى شأنًا وأعظم خطرًا من ذلك، والتفسير الشكلي لحركات الأواخر استنادًا

٢٧- المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

٢٨- المصدر نفسه، ص ٨٣.

٢٩- المصدر نفسه، ص ٣٩٢-٣٩٣.

إلى معطيات العامل وصناعة النحو وحسب، منهج ضال مضل، فالاحتكام أولاً يجب أن يكون إلى المعاني. والمعاني المترتبة في النفس هي التي تفرض نسق ترتيب التراكيب، وتتقي الأنسب من الأساليب للإبانة الدقيقة عنها، وتختار أشدها تأثيراً، ضمن معالجات نحوية بلاغية مركبة، تضبط عملية الفهم والإفهام، وتضع المعايير المشتركة للصحة والخطأ، والمراتب السنوية والدنية عند الحكم على الكلام.

لم يكن الجرجاني في حياته ثمار جهده في نظريته، ولم يجد صدى لها واسعاً، أو انتشاراً ذاتعاً، لكن أفكاره لم تمت بموته، وظلت النظرية العظيمة تنتظر التطبيق في ميدان متكامل رحب، وليس في أمثلة جزئية. وعندما أغمض الردي جفني الجرجاني، كان الزمخشري (٥٣٨هـ) يدب على الأرض ابن أربع سنين، فتما مع أفكار الجرجاني ووعاها، ولم يتعجل استشارها في فورة الشباب، بل طالعت معاشته لها حتى ناهز العشر دقاقة الرقاب، فجاور بيت الله الحرام، وكانت ثمرة ذلك موسوعة لغوية تفسيرية بلاغية هي الكشاف.

جاء الكشاف ميداناً عملياً تطبيقياً دقيقاً لنظرية النظم، فقد اعتمد الزمخشري اعتماداً أساسياً على نظرية الجرجاني، وكانت أفكارها مشاعل هادية له في تفسير القرآن العظيم وتحليل آياته، وكان بدوره تلميذاً نجيباً وفيماً للجرجاني، سامعاً واعياً كما هو حال المبلغ، آمن بالنظرية وتبناها، وجعل أشرف نصّ ميداناً لتطبيقها، فوجدت في كشافه حياة ونقاء، وكان دأبه في معظم ثنايا تفسيره أن يغوص إلى أسرار الإعجاز القرآني ليؤكد أنه يكمن في براعة تأليف الكلم، وأساليب تركيب العبارات، وما ذلك إلا بالانصياع لأحكام النحو، وتوخي معانيه وإسلام القياد إلى نظامه.

وهو بذلك يضع منهجاً عملياً مشرفاً للنحو كما ينبغي أن يكون، سار عليه في كتابه كله: مع فواتح سورة البقرة، تبدو، جليلة، نظرة الزمخشري للنظم، ووظيفة النحو، التي ينبغي أن تتبع المعاني، ومواطن البيان، فبعد أن يستعرض الأوجه النحوية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾ (٣٠). يجهر برأيه قائلاً (٣١): "والذي هو أرسخ عرفاً بالبلاغة أن يضرب عن هذه المحالّ صفحاً، وأن يقال: إن قوله ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾...، و ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾ جملة برأسها...، و ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾ جملة ثانية، و ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾ جملة ثالثة، و ﴿الَّذِي لَا يَرْجُو نُصْرَةَ رَبِّهِ فِيهِ هُدًى يَلْتَمِيزُ﴾ جملة رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، وموجب حسن النظم..."

٣٠- سورة البقرة، الآيتان: ١-٢.

٣١- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر، ١٩٧٧م، ج ١،

ثم يمضي يتلقت النكات ذات الجزالة في هذا النظم السريّ "ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بالطف وجه وأشرفه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد، وإيراده منكراً، والإيجاز في ذكر المتقين" (٣٢). وبذلك اتضحت خطته: النحو والبلاغة متآخيان منصبان معاً على غرض واحد، والبرزخ بينهما لا يحول دون توحيد أنظارهما نحو هذا الغرض الواحد.

وعاد النحو على يديه إلى وظيفته المقدسة التي شرع لها، ونهض من أجلها والمتمثلة في تبرة اللفظ من الخطأ ليكون ذلك في خدمة المعنى، والتعرف إلى جمال الأساليب، وخصائص التراكيب، وأياها أكثر فاعلية وتأثيراً. وواجه النحاة بجهد عملي يرسم لهم منهجهم، ويصدهم عن الانزلاق في الشكلية، والغرق في مطالب الصنعة النحوية، ويردهم إلى تحكيم المعنى، وتلمس مواطن الجمال، وكان جلّ جهده قائماً على تعضيد العلاقة بين النحو والبلاغة، وقد أفلح منهجه هذا في إظهار الفائدة العظمى للعلمين كليهما.

وكان يُؤمل أن تعظم هذه الفائدة لو أن اللاحقين من العلماء النحويين والبلاغيين ساروا على نهج الجرجاني والزمخشري، لكن الواقع كان خلاف ذلك: استكثر المنهج النحوي من دواعي التذمر منه، والزهد فيه، تلك التي أشار إليها الجرجاني وحاول مبكراً علاجها، وبعد قرن من وفاة الجرجاني كان التذمر قد بلغ مداه، وخرج ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) من أقصى الغرب على نحاة الشرق، مزرياً على منهجهم، وعواملهم وعللهم وأقيستهم، صائحاً بهم أن "خلّوا الطريق" (٣٣). لكن مناقشات الجرجاني العقلية الهادئة، وثورة القرطبي الهائجة، لم تجديا نفعاً، فقد غلبت الصنعة النحوية على المنهج النحوي. ومع بواكير القرن السابع الهجري بدا كأن النحو قد قيل في منهجه الكلمة الأخيرة، على يد ابن مالك (٦٧٢هـ)، الذي ملك ناصية قواعده بألفية شعرية غدت الفلك الذي دارت في مداره الجهود النحوية إلى يومنا هذا، فقد انصبت الجهود عليها شروحا وتعليقات وحواشي.

ولم تكن البلاغة بعيدة عن هذه الحال، ففي القرن السابع الهجري أيضاً بدأ الرازي (٦٠٦هـ) رحلة الجمود فاختصر كتابي الجرجاني في نهاية الإيجاز. ثم بزغ نجم السكاكي (٦٢٦هـ) الذي كان له في

٣٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣.

٣٣- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء القرطبي، الردّ على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٣، ص ٧٥. والكتاب قائم على تخلص النحو من دواعي التعقيد، بإلغاء العامل والقياس، وبعض العلل، وإلغاء بعض الأبواب النحوية ك: باب الاشتغال، وباب التنازع.

البلاغة القول الفصل، فقد استثمر نتاج التطور الذي تحقق للبلاغة على يد الجرجاني والزخشري، وكان يمكن أن يكتب للبلاغة وافر الخير على يديه، وأن يوجه جهده نحو المزيد من الالتحام بين النحو والبلاغة، لكن يبدو أن رغبته في التجديد، وتوقه إلى التفرد، والتسمت بالإبداع، قد دفعه إلى فصل البلاغة عن النحو، واستهدى بمصطلح معاني النحو الذي كَرَّر الجرجاني ذكره ليؤكد العروة الوثقى بين النحو والمعاني، استهدى السكاكي بهذا المصطلح، وجعله اسمًا لأحد علوم البلاغة "علم المعاني" مضيئًا إليه "البيان والبدیع"، ليجعلها فرعًا لعلم البلاغة الجديد العتيد، الذي خصَّص له الجزء الثالث من كتابه مفتاح العلوم، بعد أن جعل للصرف وللنحو الجزء الأول والثاني، على التوالي^(٣٤).

وبذلك، دبَّت الغربة المزعومة بين النحو والبلاغة، وأصبح لكل منهما حدوده الخاصَّة به. تناسى الناس الجزء الأول والثاني من كتاب السكاكي، ولا نكاد نتذكر عندما يذكر المفتاح إلا أنه الكتاب البلاغي الذي طبع البلاغة العربية بطابعه الخاص طوال هذه القرون، فقد تقيلته المؤلفات البلاغية، وتفيات ظلاله كحال الألفية في النحو، تلخيصات وشروحات وإيضاحات وحواشي. وسار العلمان في خطين متوازيين رغم أنهما يبحثان في لغة واحدة، ويتناولان قضايا مشتركة، وأهدافهما ليست متباعدة، فهل كان الانفصال عن وعي وتدبير؟

الدعوات النظرية الصريحة لانفصالها:

لعل من المفيد هنا إعادة التأكيد والتذكير بأن البلاغة عاشت ما يقرب من ثلاثة قرون في كنف العلوم اللغوية الأخرى كما مرّ، وكان ذلك طبيعيًا في ظل ظروف التأليف الموسوعية التي لم يُؤَلَّف فيها التخصص الدقيق، وكان ذلك طبيعيًا أيضًا لان هذه العلوم تبحث في لغة واحدة وقضايا مشتركة، لكن مع توالي العصور بدأت هذه العلوم تناز، وأخذت الأنظار البلاغية تشق طريقًا سديميًا غير واضح المعالم، أعيا الباحثين في تحديد بدايات المؤلفات البلاغية المتخصصة، ورجالها، ومصطلحاتها، فتعدّد الآباء الشرعيون المزعمون للبلاغة، والكتب البلاغية الأولى^(٣٥)، وغامت المصطلحات البلاغية طويلاً قبل أن تنجلي، ويكفي أن نشير إلى أن مصطلح البلاغة لا نكاد نجد له تعريفًا واحدًا محددًا قبل القرن السابع الهجري.

٣٤- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، مفتاح العلوم، مصطفى الباي الحلبي، ١٩٣٧م، ص ٧٧.

٣٥- مَن نسبت إليه نشأة علم البلاغة: سيبويه، والجاحظ، وابن المعتز، والجرجاني، والسكاكي، ينظر: محمد عبد المنعم

خفاجي، وعبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤.

سينفذ البحث إلى القرن الرابع الهجري، وسيرصد بعض الدعوات الصريحة التي صدرت عن علماء بلاغيين أو نحويين أعلنوا انحيازهم إلى علمهم وتمجيده، وتحديد وظائفه ومهامه، وعلاقته بالإعجاز القرآني: يقول العسكري: "أحقّ العلوم بالتعلم بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرشده، والإنسان إذا ما أخلّ بمعرفة البلاغة والفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه من الإعجاز البديع" (٣٦). والزمخشري يرى أن للعربية "اثني عشر علمًا، غير أنّ أصولها أربعة: اثنان يتعلقان بالمفردات وهما اللغة والصرف، يليهما الثالث وهو علم النحو، فإن المركبات هي المقصودة منه، وهي كالنتيجة لهما، ثم يليهما علم المعاني" (٣٧). وهو يرى أن متعاطي تفسير القرآن لا تكفيه عدّته وفروسيته في سائر العلوم اللغوية إن كان في البلاغة راجلاً، وعليه أن ينأى بنفسه عن الخوض في التفسير، فهذا يجب ألا يتصدى له "إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمته، وتتبع مظانها لمعرفة لطائف حجة الله" (٣٨).

والتزم الزمخشري هذا النهج في كتابه فجاء تحليلاً بلاغيّاً بليغاً للإعجاز القرآني، مما جعل العلويّ (٧٤٩هـ) يصرّح في مقدمة الطراز "إن جماعة من الإخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشف... وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره... لأنني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي البيان والمعاني سواء" (٣٩).

والجرجاني يبدو هائماً وهماً وهو يتحدث عن البلاغة قائلاً: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً من علم البيان، الذي لولاه لم نر لسائناً يحوك الوشي، ويصوغ الحليّ، ويلفظ الدرّ، وينفث السحر، ويقري الشهد... (٤٠).

-
- ٣٦- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٩.
- ٣٧- السبكي والسعد المغربي، شروح التلخيص، جمع فرج الله زكي، عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٩٣٧م، ج ١، ص ٥١.
- ٣٨- الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ١٦.
- ٣٩- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٥.
- ٤٠- دلائل الإعجاز، ص ٥.

وابن هشام (٧٦١هـ) يمجّد النحو بكلام مشابه: "إنّ أولى ما تقترحه القرائح، وأعلى ما تفتح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنى نبيه المرسل، فإنها الوسيلة إلى السعادة الأبدية، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدنيّة والدنيويّة، وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب" (٤١). والسكاكي قنّن الفصل بين العلوم اللغوية، فجعل لكل من الصرف والنحو والمعاني جزءاً مستقلاً من أجزاء المفتاح الثلاثة، ووضع لكل من هذه العلوم تعريفه الخاصّ به، وحدّد له وظيفته، فيكون بذلك قد صرّح بالفصل وصدّقه.

وحاول كلّ من الفريقين (النحاة والبلاغيين) أن يضع رسوماً لعلمه، لا يتسوّرها، ولا يقبل للفريق الآخر أن يتسلل إليها، ويبدو ابن الأثير (٦٣٧هـ) في بعض تعليقاته محتد.

د "فأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو
تصريفية وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون
بها" (). وعمل النحاة كما يرى مقصور على فنههم وهم يتقاصرون عما وراء ذلك "فتياهم في مواقع
ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث إنهم نحاة" () لهم
"فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب" (). ويرى أن النحو في علم البيان بمنزلة أبنجد من
وأكثر أقسامه لا يحتاج إليها في إفهام المعاني () بل إن الجهل بالنحو لا يقدر في فصاحة
(). ويرى أن اعتماد مفسر الشعر على المعاني اللغوية دون شرح أسرار الفصاحة
سيجعل عمله قاصر ويوقعه في الغلط ().
ورغم أن ابن سنان الخفاجي منحاز إلى البلاغة يهاجم النحاة بقسوة

-
- جمال الدين مغني اللبيب عن كتب الأعراب : مازن المبارك ومحمد علي حمد
راجعه سعيد الأفغاني
- أبو الفتح ضياء الدين نصر الله ابن الأثير المثل السائر : محمد محيي الدين عبد المكتبة العصرية
وبيروت
-
-
- المثل السائر :
-
-

"لم يثبت معه إلا الفذ الفرد بل ولا يثبت شيء" ()
يهاجمه ابن الأثير لأنه يخوض في بعض المسائل اللغوية التي لا يحتاج إليها البلاغي ().

"

المفردات على ما وضعت له

على أوجه لا تنهاى وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني فهو على
وجه إجمالي يتصرف فيه البياني تصرف
على المعاني من جهة الوضع اللغوي" ().

أولى يتصدى له النحوي وهو محصور في النظر في ظاهر العبارة

على الأحكام النحوية اللغوية المرضية ثم يتلقفها البلاغي الذي تأتي مه
فينفذ إلى "مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه
وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني" () فالجهد النحوي ينصب على الدلالة العامة في
التراكيب أما البلاغي فيتوجه إلى " ...
() .

واشترك النحوي والبلاغي في الموارد لا يعني الاشتباك في المصادر فهما "وإن اشتركا في
تعلقهما بالألفاظ المركبة لكن نظر أحدهما مخالف لنظر الآخر فالنحوي ينظر في التركيب من أجل تحصيل
الإعراب كمال الفائدة المعاني ينظر في دلالاته الخاصة وهو ما يحصل عند التركيب من
بلاغة المعاني وبلوغها أقصى المراتب" ().

لكن الاشتباه في التحام الأفكار في هذا المعترك يظل حاضرا في أبواب مثل الفصل والوصل

- محمد عبد الله بن محمد سر الفصاحة : علي فودة

- المثل السائر :

- شروح التلخيص

- الأثير المثل السائر

- شروح التلخيص

- ابن الأثير المثل السائر

- الطراز

والتعريف والتنكير فنراهم يستبرئون في بعض علائق الفصل والوصل: " يد بتلك الأسرار
ما بعلوم الإعراب من كون الأحرف العاطفة تلحق المعطوف في الإعراب...
وأغوص على تحصيل الأسرار الغريبة " () .

" يخبر بأن التعريف يكون بالإضمار
" () .
وغيره

وفي موضوع معتلق آخر لم يجد ابن هشام مندوحة من رسم حد فاصل
صريح: " وذلك بأن يجد خبر
أو شرط ...

وأما قولهم في نحو: ﴿سَرَبِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ () .
قوله يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول
ذلك فإنه تطفل منهم على صناعة البيان" () .

وفي الحديث عن حروف العطف يخلص السبكي () إلى غايته مطرح
"أن لحروف العطف السابقة استعمالات أخرى مذكورة في علم النحو تركناها لأننا نذكر في هذا العلم
يتعلق بمعاني الحروف ما يتعلق بحروف المعاني فإن أحكام الحروف واستعمالاتها من موضوع علم
" () .
أنها " "

" : () رحمه الله يجوز في هذه اللام كونها للعهد.
قول فيه وظيفة بيانية نذكره في علم البيان" () .

بين الوظيفة النحوية والوظيفية البيانية في قضايا الاستئناف

: " ويخص البيانين الاستئناف بما كان جوابا لسؤال مقدر نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثُ ضَيْفٍ

-
شروح التلخيص

-
:

-
مغني اللبيب

-
شروح التلخيص

-
: مفتاح العلوم

إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُوبِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ () فإن جملة القول الثانية جواب : فماذا قال لهم؟ ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها. ويقف على حالات قد () .

بلاغية في هذا الباب : "يجب أن يقدر المفسر في نحو () ."

تقودنا إلى تساؤلات ملحة:

بلاغة علمان منفصلان نظري لكل منهما علماءه المختصون به المحافظون على منهجه على استقلاله وانفصاله عن قرينه فهل استقرت هذه الدعوات النظرية عند التطبيق؟ وهل مضى كل فريق إلى علمه يناقش قضاياها الخاصة به دون أي اعتلاق بالفريق الآخر ماذا حصل عند التطبيق؟

تكشف الأمثلة السابقة أن النحاة والبلاغيين كانوا في كثير من المواضع في حيرة من أمرهم لى أمر ويجدون أنفسهم عند التطبيق مضطرين لى خلافه لكنهم يتجاوزونها ولا يلتزمون بها فيحوض النحويون في شؤون البلاغة كما يخوض البلاغيون في شؤون النحو كأنهم ساهون : على مركب قلق وهو مقدم على فصل النحو عن البلاغة فعصر ثقا وآخر للمعاني:

كما حدده هو "أن تنحو معرفة كيفية التركيب في ما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقة ليحترز بها من الخطأ في التركيب من حيث الكيفية : "كيفية التركيب" تقديم بعض الكلم على بعض من الهيئات إذك" () . وعلم المعاني عنده هو "تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان

-	:	-
-	مغني اللبيب	-
-	:	-
-	مفتاح العلوم	-

وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" ().
لكن الناظر العابر في التعريفين المتصبر على ما فيهما من التواء وتلا لا يجد أدنى صعوبة في
لحظ أن التعريفين متراسلان في معظم ألفاظهما والمضمون وأنها يتحدثان عن علم واحد له مستويان
بكل بساطة في قول ابن جنبي: " ().

بدا السكاكي كأنه محترس متحفظ حيال هذا الاستنساخ لهذا :
"وأوردت علم النحو بتامه وتمامه بعلمي المعاني والبيان" (). كان طبيعياً
يتكاملاً في كتابه الجزأ إذ كان يبحث مسألة في جزء النحو ويعلق بأن موضعها في المعاني
ويبحث أخرى في المعاني ويعقب بأن محلها النحو: يتحدث عن دخول التاء على لا النافية لتصبح
" " ثم يحترس قائلاً: " ().

فخط لهم ولاحظ ابن هشام كما مر
ا ونبههم على الالتزام بها وضرب لهم أمثلة على
في النحو لي التفسير على البيان
المعني يجد .
بالبلاغة في كثير من المواضع. ولأنه يدرك جيد
: " ولم أذكر بعض ذلك في كتابي يقصد التفسير والبيان على عادتهم :
.

بل لأنني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعه" ().
لقد غلب الاعتراف على الاعتذار في قول
صريحة إلى أن النحاة دأبوا على اقرار هذا الذنب
لم يصل بنا علماء الفريقين " إلى الحد

-
الخصائص

-
المفتاح

-
مغني اللبيب

منها مضي في طريقه الخاص به:

لا سيما المتأخرون منهم بصنعتهم اهتماما وبدوا في مواضع كثيرة كأنهم يغلبون لوازم هذه الصنعة على ما عداها وتضاءل دور المعنى في التوجيهات والتخریجات النحوية هذا النهج لم يكن مهيماً ولم تكن القطيعة نهائية وكان للمعنى في أحكامهم حضور لافت
أواخر الكلمات "أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة" ()
لكن تغير النهج النحوي المتأخر لم يطمس تماماً الالتفات إلى المعنى وتداول الأفكار البلاغية التي ألفتها بطون المؤلفات النحوية الأولى فبقيت إشارات المعنى والبلاغة مقيمة في مواضع مثل معاني والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير ... إلخ والأحكام الشرعية
أدوار حاضرة في التقدير والتفسير () .

وجدوا أنفسهم في كثير من المواضع والأبواب الـ
يخوضون في الشجون النحوية فنقرأ ما يكتبون في بعض المواضع
:

تحت عنوان فروق في الحال لها فضل تعلق في البلاغة: تناول الجرجاني () وبين أنها تحيء
وتحيء جملة وشبه جملة ووقفنا على تفصيلات كثيرة تتعلق بالحال الجملة الاسمية
واقترانها بالواو أو عدم اقترانها بها واستعرض آراء بعض النحاة وكان عرضه في المجلد حديث
أنا في حضرة كتاب بلاغي .

-
- شرح قطر الندى : محمد محيي الدين عبد الحميد .
 - كتاب سيبويه إلى حواشي الألفية المتأخرة، سيجد الكثير من الملحوظات المثورة في طوايا هذه الكتب، إن راح يستقرئها سيدهشه تقاطعها مع كثير من الأنظار اللغوية الحديثة بمدارسها المتعددة، : الوصفية، والتحويلية، ونظرية فيرث، والنظرية التداولية...
لغوية كامنة كاملة، لكن الأمر ما يزال يحتاج منا المزيد من الجهد لميز النافع من بين الزيد. ينظر في هذا الأمر: نهاد
نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير ومكتبة وسام، الأردن، ط
وفي الكتاب التقاط بصير لملاحظ التشابه بين الأنظار النحوية البلاغية العربية، والنظريات اللغوية المعاصرة.
 - دلائل الإعجاز .

كن الأمر يبدو أصعب كثير ونحن نطالع رأي السبكي في جواز عطف الإنشاء على الخبر
حاشرا الأوجه النحوية في المسألة من مظانها الآراء النحوية المختلفة حولها. " :
فالجمهور على أنه لا يجوز () في شرح الإيضاح
في باب المفعول معه في شرح التسهيل () وطائفة ونقل الشيخ أبوحيان ()
عن سيبويه جواز عطف المختلفين بالاستفهام والخبر : " () .
إن كانت البلاغة مفصولة عن النحو كما نادوا وأرادوا عرض الجرجاني
للحال لأنه جعل النحو تكوة للارتقاء إلى غرضه البلاغي فهل نملك سعة الاختيار في البحث عن أعداء
سبكي في استعراضه النحوي هذا طي

والردود على النحاة:

فالزملكاني () يغلب على كتابه الاتجاه النحوي () وبحث القزويني ومن لف لفه وسار
على منهجه أقرب إلى الدراسات النحوية () والقزويني في الجملة لم يبتعد عن منهج النحاة
إلى المعاني الإضافية " الذي أغفله النحاة كثير () .

بل احتكم البلاغيون إلى النحاة في تحديد أبوابهم البلاغية

ورجحوا رأي مدرسة نحوية على رأي مدرسة أخرى

اقتصروا على المبتدأ ولم يتطرقوا إلى الفاعل لأن النحاة البصريين لم يقرؤا بحذفه: "اقتصروا المصنف على
لأن الفاعل لا يحذف عند البصريين وما ندر من ذلك في قام الناس لا يكون زيد
ونحوه على رأي ابن مالك لا عبرة به ولعله لم يقصد الحذف" () .

لم يطق النحويون قصر مهمتهم على لب صنعهم النحوية إلى البحث عما ورا
التركيب من معان وخاض البلاغيون كثيرا

-
- شروح التلخيص
 - كمال الدين عبد الواحد الزملكاني التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : خديجة الحديثي وأحمد
مطبعة العاني
 - أحمد مطلوب القزويني وشروح التلخيص
 -
 - شروح التلخيص

في شؤون النحو وهم يعبرون إلى وظيفتهم
ذلك حتى لو أرادوا غيره فكثير من القضايا البلاغية ملتحمة بالنحو
على أساسها الأبواب البلاغية والرتبة النحوية التي انبنى عليها التقديم والتأخير والمطابقة بين الضمائر
التي ترتب عليها الكثير من قضايا الالتفات وهكذا في الذكر
والشرط
...

والتواصي به

وظل البلاغيون على بصيرة بأهمية النحو يدافعون عنه بإخلاص كما فعل الجرجاني عند مواجهته
الحامية مع الزاهدين في النحو الصادين عنه
وهو في سبيل عرض أمثلة لأقوال بليغة لا تجارى ضرب لند
فهو عنده من أصحاب الكتب المبتدأة الموضوع في العلوم المستخرجة التي نجد أربابها "
في فصول منها إلى ضرب من اللفظ والنظم أعيان بعدهم أن يطلبوا مثله... ()". ثم نقل له نماذج من
() وأخذت الحماسة الزمخشري إلى الحد الذي جعله يقول: إنه يجب الجثو بين يدي الناظر في
سبويه. حتى بعض العلماء الذين بدت الحدة في التعصب للبلاغة ودفع النحاة عنها
عند هداة حميتهم نراهم يقرون بأن النحو هو معيار سلامة الكلام مبنً يقول ابن الأثير:
"أما علم النحو فهو الذي تستقيم به معاني الكلام وتصان عرى تأليفه من الانحلال والانفصام
فكيف يُعمد إلى سلخ البلاغة ()".
وهو متغلغل في ثناياها؟ وكيف يكون الجهل به غير ضار بالبلاغة؟

النتيجة واستشراف الحل:

وبعد النظر في هذا الحصاد فإننا لا نخلص إلى برد اليقين بأن النحويين والبه

-
- الجرجاني الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : محمد ومحمد سلام
مصر
 -
 - أبو الفتح ضياء الدين نصر الله ابن الأثير الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور :
جواد وجميل أسعد

بل الأمور مشتبهة مختلطة: البلاغيون يدعون إلى الانفصال ثم

يخوضون في أدق تفاصيل النحو وهم يمجدون علمهم كثير

ن إلى الانفصال وهم يتقيلون النحاة ويرددون أقوالهم

والنحويون يدعون إلى الانفصال أيضا لكنهم مشدودون إلى إرث نحوي التحمت فيه البلاغة مع النحو

فإذا بهم يقولون ما لا يفعلون وذلك كله يقود إلى نتيجة راجحة: لا مجال لفصل

ولا فائدة ترتجي من ذلك بل فيه الضرر للعلمين كليهما.

والرأي الأولى من مقارفة الفصل التعسفي هو مقاربة تهذيب المناهج النحوية والبلاغية مما

شابهها من إفراط في الصنعة والتعقيد واتباع منهج تكاملي بينهما قائم على توجيه وظيفتهما الموحدة نح

ولا مناص من الاعتراف بأن البلاغة توأم النحو نشأة وطريقهما واحد ويبحثان في قضايا

مشتركة ولا غنى لأحدهما عن الآخر ولن يصل أي من الفريقين إلى أحكام سليمة إلا باعتماد البلاغة

على النحو وامتداد النحو إلى البلاغة فكيف يجوز الفصل بينهما؟ وماذا جنى كل منهما باحتكاره لنفسه

من الأنظار المشتركة؟

تحاول الأمثلة التالية أن تكشف الخلل الكبير في استمرار الإصرار على أن يكون للنحو ميدانه

ويكون للبلاغة ميدانها الخاص بحدودها المصطنعة وقواعدها

كما ل أن تستطلع الفوائد التي يمكن أن تجنى من تعاون العلمين وتوحيد أنظارهما:

شارة إلى أن السبكي تناول مسألة عطف الإنشاء على الخبر

: "واعلم أن الخبر والإنشاء المتمحضين لا يعطف أحدهما على الآخر

" ()

آراءهم ثم يخلص إلى القول:

"

() متفقون على منعه

"

للنظر أن يرى هذا التباين في الرؤى النحوية والبلاغية أمرا طبيعيا فيصرح ببساطة

"يجوز لغة ولا يجوز بلاغة" () .

شروح التلخيص

-

-

ومثل هذا يثير الكثير من التساؤلات: ومن لم يجز؟ وكيف يتنافر العلمان

في المسألة الواحدة واللغة واحدة؟ ولم أجازة النحويون وهم الأحرص على التعميد المثالي للغة البلاغيون وميدانهم الأقرب إلى التعابير المتزاحمة عن المثال الرتيب الموافق للقاعدة؟ ولماذا لم يجزه البلاغيون وهو أسلوب جرى على اللسان العربي بل ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي كَرَّمْتُمْ بِهَا أَنْفُسَكُمْ وَمِنْ أُمَّةٍ قَدْ كَفَرْنَا بِهَا وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ () فعطفت جملة ﴿وَأِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الخبرية على جملة ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾

ثم ماذا أخذنا من هذا الخلاف لتفسير حركة إعرابية أو كشف أسرار بيانية؟ هذا الخلاف بين وبدا بين يديه كأنه نتيجة طبيعية لاختلاف العلمين

هذا الخلاف استهجنه أحد النحاة واستنكره في حالة مماثله على الحكم فالعلمان ملزومان في قرن وحكم أحدهما يجري على الآخر بالضرورة: جاء ذلك في تعليق الصبان () على الأشموني () في عدم اطراد النعت بالمصدر رغم شيوعه: الألفية ():

ونعتوا بمصدر كثير تزمو الإفراد والتذكيرا

فيشرح الأشموني: "

ثم يحكم بأن " ما وإن كان كثير "

: "كيف حكموا بعدم الاطراد مع وقوع الم أو على المجاز

أو على المجاز المرسل الذي علاقته التعلق إن أول المصدر باسم الفاعل أو اسم من الثلاثة مطرد كما صرح به علماء المعاني؟" () .

ن تجمع بين الفريقين

يستضيء كل منهما بأفكار الآخر فلا يستساغ أن يدعى اختلاف مذهبي العلمين وأحكام علمائهما فيرى بينما يراه الفريق الآخر ليس بليغ

إنه تساؤل نضيفه إلى تساؤل عباس حسن () : "كيف يختلف الحكم بين علماء البلاغة وعلماء

- أبو الحسن علي نور الدين بن محمد الأشموني شرح الأشموني على الألفية، :

- الأزهرية للتراث

- محمد بن علي الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك عيسى الباي الحلبي

- عباس حسن اللغة والنحو بين القديم والحديث مصر

وهم يتسبون إلى لغة واحدة ويعملون لها؟ وبأي الرأيين نأخذ؟ ثم إن الأشموني كان قد أمسك برقبة البلاغة عندما أوضح أن هذا يقع بهدف المبالغة وهذا هو السر المعنوي اللطيف الذي فهذه هي الأسرار التي كان قد وقف عليها سيبويه () في بلاغة الإخبار بالمصدر في قول الخنساء:

فإنها هـ

() عدم تقدير مضاف محذوف " بل البلاغة في عدم التقدير لتبدو أنها مخلوقة من الإقبال والإدبار ففي هذا التأويل يتراءى اتحاد الحدث بالحدث. منه قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (). يلطف المعنى ويتوهج؟

غادر النحو إهابه الغض حيث أورد في المعنى عنه البلاغة واتجهت نحو التقعيد والنتيجة أننا ملزمون بقواعد نحوية وبلاغية بعيدة عن روح المعنى وتلمس أسرار الجمال في وأسباب التأثير محكومون بترديد ما .

ولا بد من محاولة الإصلاح بإعادة الاعتبار للمعنى في النظر النحوي إعادة البلاغة إلى دورها الحقيقي وهو تلمس مواطن الجمال والتأثير في التركيب بد من التكامل بين النحو والبلاغة لا سيما بعلم المعاني للوصول إلى معالجات تضبط النص من ناحية يكون ذلك يهدم النحو بإعادة كل منهما إلى وظيفته الأولى التي نهض أول أمره لها. وتظهر أهمية البلاغة في رقد النحو عندما يعتاص النحوي في نصره قاعدته النحوية ويجد نفسه مقيد ثم غدت قيود .

تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا﴾ ().

" " الشرطية هذه لا يليها إلا فعل وضمير الرفع قد تصدر الآية هنا

محذوفا بعدها يفسره الفعل المذكور المتأخر بعد الضمير

- : الكتاب

- : الخصائص

- : سورة الإسراء، الآية:

ولم يلتفتوا إلى المعنى أو ما وراء هذا التركيب. ثم جاء البلاغيون فرددوا
فهذا الموضوع عندهم من شواهد حذف المسند احترازا من العبث :
فحذف الأول احترازا من العبث في ذكره لدلالة " " " " مختصة
بالدخول على الأفعال ولوجود المفسر ثم أبدل من الضمير المتصل بالفعل المحذوف ضمير منفصل وهو
" " فهذا الضمير المذكور فاعل لذلك الفعل المحذوف ().

لا يتلفت إلى واقع التركيب الجديد المتمثل في الانزياح المقصود عن المثال
ويتجاوز الدافع لجعل التركيب على هذا النحو والأسرار البيانية التي تحققت من ذلك
ويرتد للبحث عن أصله فيعيده إلى ما كان عليه ويجد نفسه مقيدا إلى أحكام النحو وتفسيراته.
يستجير بالبلاغة من النحو في مثل هذا الموضوع حقا كحال من يستجير من المرض إنها رياضة
لكن كيف يمكن أن ينجح هذا التخريج في إقناع أو إمتاع؟ وأين المعنى في هذا كله؟
وأين البحث في أسرار هذا التركيب وما فيه من تأثير؟

"

غيره ليروا صورة التراكيب من حيث اللفظ مثلا لا من حيث المعنى" (). فالمعنى ليس هو المعنى في هذا
. لكن أين دور البلاغي؟ هل يكون مقصورا على استعادة أقوال النحوي بافتراض وجود محذوف
ليتم حذفه احترازا من العبث

روح اللغة ويحول بين العلمين وبين أداء دورهما.
على عجل وردت بين ركام نحوي في تحليل الزمخشري لهذه الآية فيها جدى وغنى عن كل هذه الجهود في
ودفع العبارة بكل الوسائل إلى أصل مفترض منسجم مع قاعدة مفروضة.
الزمخشري بعد أن قلب الوجوه النحوية في هذا الموضوع: "
فيه دلالة على الاختصاص لأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ" ().

-
- جمال الدين محمد بن عبدالرحمن الإيضاح في علوم البلاغة : محمد السعدي فهود ورفيقه
الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني بيروت . -
 - بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي البرهان في علوم القرآن : محمد
صيدا وبيروت . -
 - الزمخشري الكشاف . -

جعلت المخاطبين في صدارة المشهد لأنهم جبلوا على البخل وبالغوا في التقتير
مفاتيح خزائن الرحمة لهلكوا وأهلكوا. إن هذا المعنى هو الذي شكل هذا التركيب
ورسم له هيكل الترتيب : ... لهُوى معناها بعيد

ولا يزعم البحث أ
لكن المشكلة تكمن في
تغليبهم القواعد على واقع اللغة وعدم تفعيل البلاغة لتكون نصير
لأنهم كانوا متجهين نحو هدفهم وهو الجانب التأصيلي للغة ولم يحفلوا بالجانب التعليمي
الشريب علينا إن لم نطالب أنفسنا بتخير ما ينفع مما يستجد" () .
قرر النحاة أن أدوات الشرط لا يليها إلا فعل وانسقت شواهد كثيرة لهذه القاعدة
شواهد أخرى ليست قليلة لم تجر مع القاعدة فجاءت تراكيبها مخالفة لها لأن في ذلك خدمة
جلي وتعظيما للتأثير المقصود محتالا لنصرتها
امتد النظر إلى الأسرار البلاغية في مثل هذه الصياغات المقصودة: يقول الله تعالى: ﴿إِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ
﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسْمُ أَقْنَتْ ﴿١١﴾ () . ويقول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا
النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾
وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِقَتْ ﴿١٣﴾ () . ويقول الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوكُوبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ () . ويقول الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحِفَّتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ () .

"إذا الشرطية" في

لها فنعما هو لكنه غير تال لها ملاصق بها فيجب تقدير محذوف مثيل له

- إسماعيل عميرة المستشرقون والمناهج اللغوية دار وائل للنشر عمان

- :
- :
- :
- :
- :

ليكون الظاهر المذكور تفسير

() .

؟ ولم لا يلتفت إلى البلاغة وراء هذه الصياغة؟

يصف ظواهر طبيعية تصدع العقول وتزلزل النفوس وتملأ القلوب رهبة

ي هذه المعاني ثانياً . إنه الإعجاز القرآني

فمن العجز أن نسلّمه إلى حكم لغوي يعيد تشكيل العبارة فيه

ثم انصاع لحكمها ا أن نحكم فيه قواعد بلاغية هم أصحابها الأكبر هو التعريفات والتقسيمات والحدود.

إنها تراكيب جاء الاسم فيها محط العناية والاهتمام

. والقرآن الكريم سيقى الأنموذج الأرقى للأساليب العربية فكيف يجوز لنا أن نغلب لوازم

القاعدة الصناعية على أساليب الخطاب الطبيعية والأسرار البيانية؟ ما الذي جناه المعنى عند

: إذا انشقت السماء انشقت؟ ولماذا لا يفسر الأمر بلاغياً

محط العناية ومحل الاهتمام؟ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ في المشهد مؤوودة

وهبت لها الحياة ثم جاء من كان سبباً في وهبها حياتها

: وتموت معها أسئلتها وحيرتها وعيناها المفتوحتان على الدهشة

وهي تأبى أن تصدق ما يجري ويمضي ذلك كله طي ثم يقوم الأَشهاد

فجاء التركيب مصداقاً لهذا كله

المهم السؤال وإنما من الذي سئسأل. ولو جربنا العبث بالتركيب ليصبح: وإذا سئلت المؤوودة سئلت

لتلاشى الوهج فيه : المؤوودة هي الفاعل الذي تقدم فعله المؤوودة هي المبتدأ الذي

تظن خبره المؤوودة هي المسؤول الأهم من السؤال ومن سأل. بل إن ابن عباس رضي الله عنه

() : "وإذا المؤوودة سألَت : " () .

ما زلنا في مناهجنا المدرسية والجامعية نعرب الاسم المرفوع الواقع بعد أدوات الشرط في مثل

- ينظر في موضوع حذف الفعل المفسر لهذه الشواهد ومثيلاتها: الخصائص

مغني اللبيب . وبهاء الدين عبد شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : محمد محبي الدين

- معاني القرآن

بأنه فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور لا لشيء يخدم المعنى
بل لأن القاعدة قضت بأن أدوات الشرط لا تدخل إلا على الأفعال
تجعل الالتزام بمثل هذه القاعدة ضرباً والمخالفة الصريحة لواقع اللغة
ويطمس الجمال والتأثير.

ونتذكر في هذا المقام صرخة تدمر أطلقها طه حسين قبل عقود ضد مثل هذه القيود :
"عندما تريد أن تفهم التلميذ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ () : " فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك : إن استجارك
أحد من المشركين استجارك. فيسألك التلميذ أين استجارك الأولى هذه ومن أين نأتي بها؟ ولم
بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم؟ كيف تحييون؟ () .

ضاعت صرخة طه حسين وما زلنا إلى الآن نواجه السؤال نفسه من طلابنا
ولا نجرؤ أن نحيد عن المنهج المرسوم لنا فنصرح بقناعاتنا بأن
" " قد تقدمت لأنها محور الاهتمام فالإسلام يقرر المبدأ المطلق بإجارة كل مشرك مستجير
" " مقدمة بصيغة التنكير إن المنهج السوي غير الملتوي يقضي بأن تُعرب مبتدأ أو
رغم عدم سلامة الحكم الذي فرضه النحاة على نحو قاطع عندما قالوا: " وإنما لم يحكم
" " استجارك" خبره لعلمهم بالاستقراء باختصاص حرف الشرط بالفعلية" () .
إنما كما هو حال الأمثلة التي مرت وحال هذا المثال وغيره
تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ﴾ () ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكَ﴾ () ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ () .

-
- . :
 - محمود أحمد السيد شؤون لغوية دار الفكر المعاصر بيروت .
 - رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي شرح كافية ابن الحاجب بيروت . وينظر أيضا في مناقشة هذا الأمر:
 - . :
 - . :
 - . :

وإعرابها مبتدأ أو مفعولاً به ليس بدء بل هو مسنود بالتراث النحوي الأصيل فالأخفش
() يميز أن يكون هذا الاسم مبتدأ () والكوفيون يجعلونه فاعلاً قد تقدم على فعله ()
الرأين أقرب إلى روح اللغة وأصدق في وصفها
المصطنع بين النحو والبلاغة وهما ينصبان معا على تراكيب مشتركة .

القسري بين النحو والبلاغة وغياب الانفتاح بينهما
يقطع التواصل بين القاعدة والنص في مثل هذه المواضع فالقاعدة في واد
والمعنى في واد آخر وكان الأولى أن تأتي القاعدة وصفاً للتركيب الظاهر
إلى سؤال القائلين في غيابهم أو تقول عليهم بما لا يريدون: في الرحلة الغيبية لقي
() : "لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد

أرواح^{*} أنت فانظر لأي حال تصير ()
" " يجوز أن ترفع بفعل مضمر يفسره قولك " "
: دعني من هذه الأباطيل" () .

هذا الموقف الطريف يكشف عن ضجر المعري الشاعر الفيلسوف بهذه التقديرات النحوية
تضع على لسان القائل ما لم يقل مه إلى حيث لا يريد
شكالات النحوية تظهر عندما يفارق التركيب النسق الريب الذي ينسجم طوع

مع منهجهم من حيث إقامة بناء معياري معياري يضم الكلام
لهذا الخزم ثمنا فالقاعدة لا يجوز أن تتحكم بالمعنى وتفرض على المتكلم النسق

-
- | | |
|---|-----------------------------------------------------------------------|
| - | الخصائص |
| - | شرح ابن عقيل |
| - | أرواح مودع أم بكورك فاعمد لأي حال تصير . |
| : | هكذا وردت رواية البيت في الشعر والشعراء : الشعر والشعراء : |
| - | أبو العلاء أحمد بن عبد رسالة الغفران : عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ مصر |

"اللغة الانفعالية تنفذ في اللغة النحوية
لذلك يمكن أن يفسر
النحو بفعل الانفعالية إلى حد كبير" () .

ويجعل كلامه على رسمها
بل المعاني تترتب في أعماقه بتأثير من عواطفه فيطوع التراكيب بما يناسب تلك المعاني ولا ينشغل بالآثار التي
فيقع الانفصام بين الشرط الصناعي
وهي أشبه برقعة الشطرنج حجارها الألفاظ
يقع تغيير على المعنى
مثلاً تحدث نقلة ما لأحد أحجار الشطرنج تغيير يؤثر في مصير اللعبة كـ " () .
وفي خضم هذا الاضطراب الذي طرأ على التركيب
القاعدة إلى الوجه الذي يخدمه وأن تكون البلاغة هي المسعفة في تسويغ القاعدة لوصف الانسجام

بهذا القيود الصناعية الطاغية على كثير من المواضيع في النحو
وخلصته أن اسما قد تقدم على فعل واشتغل الفعل بضمير
يعود على ذلك الاسم فاحتمت الآراء النحوية في شأن هذا الاسم المتقدم وجعلوا له خمس حالات
إعرابية تتراوح بين وجوب رفعه أو جوازها
. وانخرطوا في مساجلات حامية وتورطوا في إشكالات وتفصيلات تضخمتم فعدت
حتى دفع بعض العلماء المحدثين والقدماء على حد سواء إلى
الباب جملة من النحو العربي () .
والمدقق في هذه الأوجه المستكثرة في إعراب هذا الاسم لا يكاد يرى فيها أثراً للمعنى في توجيهه
أو تغليب رأي على آخر
المعطياتها وإنما هي صنعة
ديها لهذا الاسم لدواع

-
- اللغة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مكتبة الأنجلو المصرية .
 - علم اللغة العام ترجمة: :
 - في شرح ابن عقيل وينظر للباحث: " اشتغال في النحو العربي: " المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها مجلد .

مبتدأ الكلام ومناط الاهتمام
لأنه مفعول به اقتضت العناية به والرعاية له أن يتقدم على
() .

فالأخفش جعله مبتدأ

والضمير المتصل بهذا الفعل المتأخر

وبعضهم جعل هذا الضمير مُلغى .
()

ل في باب الاشتغال به في الما . : "اعلم أن المبتدأ إذا وقع الفعل على
ضميره فنصبه على المعنى" () . ورغم أن كلام الأعلام حمال أوجه

الأظهر الذي يعيننا يتمثل في أن بعض النحاة كان يقلب المسائل والمعنى حاضر في ذهنه .

وإن لم نلتفت إلى المعنى والبلاغة لا نظن أن بعض التسميات اللغوية الحديثة التي أطلقت على

: "التبئير" " " " لأصل المشكلة في هذا الباب () .

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ () . : " " "

" " ولا يجوز : " " لأن المعنى عندئذ يقيد قدرة الله تعالى .

لكن لا يطول أثره الطيب إذ سرعان ما تنتصب القاعدة النحوية لتعلن أنه لا يجوز أن يكون هناك

إلى تقدير عامل ملاصق للظرف غير مفصول عنه

: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ " " ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ . رأينا إلى هذا التكلف

فهل التزموا بذلك دائما () .

-
- : يوسف بن سليمان
 - : النكت في تفسير كتاب سيويه : زهير عبد المحسن سلطان منشورات معهد المخطوطات العربية
 - : عبد القادر الفاسي الف اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية
 - : -
 - جعل ابن جني هذا الشاهد في صور باب تجاذب المعاني وا وذكر أن أبا علي كان قد اعتاده وألم به كثير والفكرة في الباب تدور حول تغليب المعنى على ا لكنه يلجأ إلى تقدير فعل للظرف : الخصائص المعني

() للمعنى الصدارة في فهمه للإعراب ووظيفته
توضيح المعاني وحركاته هي التي تنبئ عن هذه المعاني () () والإعراب يدخل في
ويأتي الإعراب في آخره للدلالة على ذلك المعنى ()
المعاني هـ () والإعراب هو الإبانة عن المعاني () . ويخصص باب
الفائدة في تعلم النحو () وأكثر الناس يتكلمون على سجيتهم دون إعراب يخلص إلى زبدته بأن
"ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره من غير
لم يمكنه ذلك وهذا أوضح من أن يحتاج إلى إطالة" () .
وجعل ابن هشام الغلبة للمعنى في صدارة الجهات العشر التي وضع فيها للمعرب طريقة
يخشى فيه زلق " وكثير
" () وأوصى المعرب بأن أول واجب عليه هو أن يفهم معنى ما يعربه.
ي قبل ذلك قد أوصى المعرب قائلاً: "إن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت
وإن كان تقدير الإعراب مخالف لتفسير المعنى تقبلت المعنى على ما هو عد
وصححت تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه" () .
ويقول أبو حيان الأندلسي () : "متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان
أولى من أن يسلك الإضمار والافتقار وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على
أحسن الوجوه وأبعده عن التكلف وأسوغه في لسان العرب" () .

بيروت	الإيضاح في علل النحو	عبد الرحمن بن إسحاق	-
			-
			-
			-
			-
			-
			-
		مغني اللبيب	-
في أفكار مشابهة.	:	الخصائص	-
		محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي البحر المحيط	-

فهل التزموا دائماً بها؟ ()

أطلقنا العنان للتقدير بما يخدم تكاليف النحو والأحكام الشرعية
... لخب؟ وقد وقع. أليس الأولى من ذلك هو الاستمساك بعروة المعنى الوثقى

في الآية لوجدنا أن الأمر فيها قائم على التقديم والتأخير
المفردات فيها على النحو الذي فرضه مستوى أهميتها فالفكرة المحورية في الآية هي القدرة على الإرجاع
لأن المشركين ينكرون مطلق القدرة على رجوع الخلق بما يتضمنه ذلك من إنكار البعث
وما يترتب عليه من حساب وترتيب مفرداتها مصداقاً للمعنى الأساسي المراد منها
"على رجعه" لأنها مصدر الإنكار مباشرة " فبدأ كأن أصل القضية قد فرغ منه

لما كان هناك حاجة إلى تقدير عمق المعنى وعبث
بالبلاغة وقبل هذا وذاك شرع التدخل في النص الأقدس.
هذا التقديم والتأخير يومض إلى التغيير الذي يطرأ على العبارة فينقلها من النمط العادي المثالي
للقاعدة النحوية إلى نمط آخر منحرف اقتضته () .

:

في باب المبتدأ والخبر عندما يقع كل منهما معرفة يحصل لبس في التفريق بينهما
محض فجعلوا الضمير أقوى المعارف يليه العلم
والمضاف إلى معرفة على التوالي. : "وأما المعرفة فإنها تنقسم
: الضمير ولهذا بدأت به

-
- التزموا بهذا في مواضع كثيرة وكانوا يستضيئون بالمعنى عند التوجيه الإعرابي . ينظر للباحث: " العربي والمعنى " مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي . لكن هذا الالتزام لم يأخذ طابعا منهجيا دائما.
 - أفاض عبد الحكيم راضي في المثالي والمنحرف من الأساليب اللغوية : نظرية اللغة في النقد العربي مكتبة الخانجي بمصر

: ثم" () . ماذا لو حكمنا هذا الشرط النحوي الصناعي وجعلنا أعرف الستة دائما
دائما هل كنا سنقف على المعاني الحقيقية
ونتذوق الأسرار البلاغية ففي جملة مثل: الخطيب علي
خبير بينما جعل فريق آخر من النحاة المعارف كلها متساوية
والمتأخر خبر .

هذا تناول الشكلي الآلي لدى الفريقين . فهناك
معانٍ ترتبت في النفس قبل صدور اللفظ : "النظم والترتيب عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلام
" () ا في ا : الخطيب علي وعلي الخطيب.
التقديم أو التأخير لم يأت إن لم يقع عليه المتلقي ضاع المعنى وتضاءل التأثير () . في
الجملة الأولى عرفنا صفة الخطابة ولم نعرف صاحبها فجاء علي خبر وفي الثانية عرفنا عليه ولم نعرف
ب خبر واستخدام أي الترتيبين عوض . ويخالف ما

وقد تنبه المتقدمون من النحاة إلى أثر المعاني في نسق الكلام وترتيبه:
المبرد قوله: "الفرق بين ضربت زيد اضربه : ضربت زيد فإنما أردت أن تخبر عن
: اضربه فإنما أردت أن تخبر عن زيد" () .
نظرتهم الوظيفية للنحو لا يقتصر على أداء شكلي وإنما هو ملتحم بالمعنى
: "النحوي الذي يخرج وجه

الإعراب غير إصابة المعنى المقصود هو نحوي لم يعرف صنعته ولم يتمثل الغاية من علمه" () .
وعلى مثل هذه الجهود النحوية المتقدمة بنى الجرجاني نظراته البلاغية فقد تنبه إلى مثل هذه

-
- شرح قطر الندى .
 - الجرجاني دلائل الإعجاز .
 - للباحث دراسة في أسلوب التقديم والتأخير
إلى إشكالات النحوية
: إن لم توظف في تفسيره المعطيات البلاغية. : "التقديم والتأخير في النحو العربي
" حولية
مجلة .
 - الإيضاح في علل النحو .
 - مازن المبارك العلة النحوية: نشأتها وتطورها للطباعة والنشر والتوزيع بيروت والقاهرة

أن يسمى النحاة هذا الضمير المتصدر في مثل هذين الموضعين الشأن. ونحن في إعرابنا اعتدنا أن نطلق عليه هذا الاسم ونمضي لكن المعنى يحتاج منا أكثر من إطلاق الم ويحسن الالتفات إلى اللطائف البلاغية في هذا الأسلوب اللافت: : إنه ضمير الشأن
: فهل أطلعنا النحو أو البلاغة على الإشارات الراقية في مثل هذا التركيب

م ضمير لا مرجع سابقة فتشرب النفس لفك
هذه الألباز الساحرة في هذا التقديم الدال على التعظيم وفي هذا الإبهام اللذيذ فالضمير المقدم المبهم هي النفس لتلقي ما يفسره فكان في هذا التركيب اعتناء بالمراد وتفخيم للأمر
فصيل بعد إجمال وتفسير بعد إبهام وتكرار لذكر المعنى به مرة بالغموض المثير

واسترداد البلاغة لدورها الطبيعي في والكشف عن ملاحظ الجمال يسعفنا في تجاوز الكثير من المزالق لا سيما في تلك الأساليب
التعبيرية التي استعصت على الانقياد الطوعي للقاعدة النحوية:
حرص النحاة على أن يكون للجملة العربية ركنا إسناد من وجودها مع أحدهما احتالوا للأمر إلى مرادهم: أسلوب المدح
: هو من المواضع التي يرتك فيها المنهج النحوي ويظهر الإصرار على تحكيم المعيار لها من ركني إسناد ()
يلبي صراحة هذا المطلب من التخريج النحوي :
اء المدح وفاعله ضمير مستتر فيه :
من باب خروج الكلام على مقتضى الظاهر.

- ناقش العديد من المحدثين هذه الإشكالية في تقسيم الجملة العربية وحصر أنواعها.
: أبنية الجملة العربية في ضوء المنهج الوصفي والتحليلي : دراسات في اللسانيات العربية
وللباحث دراسة في أسلوب النداء بين كيف نتج عن جعل هذا الأسلوب جملة فعلية اضطراب
: "النداء في العربية بين العامل النحوي والواقع اللغوي" أبحاث اليرموك

فهل قادنا أي من الفريقين إلى لطائف التركيب
تمتر مبهم لا مرجع له يسبقه
وُمدحت شعرية مطلقة لم نعلم مَ
النفس إلى معرفة من هو هذا الممدوح وتتعشش
فيأتي اسم المتنبي قُ
إنما المتنبي شاعر وإنما الشاعر الم .

وتنصب جهودنا النحوية على أحكام الاستثناء " " .
جملتين متقابلتين الإعراب نفسه رغم أن المراد من كل جملة منها مخالف تمام
يُجوز أن تغيب عن الدرس النحوي في مثل هذه المواضع والقصر الحصر
والتأخير والتعريف والتكبير ... إلخ.
وهذا يمهد السبيل لبيان أن العديد من مثل هذه الأساليب اللغوية قد لحقها الضيم إذ تناثرت
لا غير مجتمعات بين النحو والبلاغة ولا تتجلى قواعدها النحوية
وملاحظها البلاغية إلا بدراستها في صعيد واحد .

نعيد الاعتبار للمعنى في التوجيه النحوي
ألفناها بين يدي الجرجاني والزمخشري
ونجعل الحركة الإعرابية ثمرة طبيعية لمقتضيات المعاني وجماليات التراكيب
ونحن بهذا نرد النحو إلى غرضه الأصلي
والبلاغة إلى وظيفتها الكبرى أحدث النظريات اللغوية الوظيفية

: البلاغة على كاهله : لا يصح في الأ
متكاملان لا غنى لأحدهما عن الآخر ويجب أن يعودا ضل للنحو أن يتناول إلى
البلاغة من أن ينحصر في التخريجات الشكلية في كثير من المواضع .
التراث ويصيح دائما: لا مساس : غاية هذا البحث أن يحاول
إصلاح بعض الخلل بإعادة الأمر إلى ما كان عليه أصله أول أمره رنا لتراثنا يقتضي منا جميع
وفي هذا البحث جهد أقل مما نطمح إليه

الخاتمة: نتائج وتوصيات:

- إن اللغة العربية في أزمة حقيقية من حيث تراجع أهميتها ومزاحمة غيرها من اللغات لها في ما نسمعه من طلابنا وجزء من المشكلة يتمثل في مضامين المواد التي ندرسها لهم ومناهجها وطرائق تدريسها.
- أقام النحاة العرب معمار عز نظيره في تراث الأمم قديما وبذلوا في وَا نوايا صادقة في خدمة دينهم ولغتهم فتعددت آراؤهم حتى إننا لنجد في المسألة الواحدة العديد فلا نعرف بأيها نأخذ وأيها ندع يكاد المخطئ يجد نفسه دائما في مأمن .
- وغير المستعمل يجوز : وما لا يجوز سيه ؟ لقد اعترفوا بأنه لم فكيف ينفذ حكم القواعد المستنبطة من هذا القليل على الكثير؟
- كانت اللغة المستقرأة على درجة واحدة من السلامة والفصاحة؟ وهل كان المحتج بهم دائما الزلل والهوى؟
- نهض النحو لضبط اللغة وتجنب اللحن في القرآن الكريم قام إلى حد كبير بمهمته العظيمة دائما النص القرآني
- فما بال هذه الشواهد التي عرضها البحث يُخضع قواعده لحكمها؟ ولماذا يعطي الاعتبار للشاهد الشعري الأعرابي أكثر من النص القرآني؟
- انطلقت خلافات الآراء النحوية في فضاء بدأ أنه بلا حدود من انفلاتها أن فاتجه النحو نحو

على كل من النحو والبلاغة.

إلى
إن البحث يجدد الدعوة إلى التفريق بين النحو العلمي التراثي النحو العملي التعليمي
مطالب الذوق في البلاغة ا بالعودة الحميدة إلى العلاقة
ا بعض الأفكار التي يراها ضرورية عند وضع المناهج التعليمية
:

ا عن المعالجات الشكلية التي تخدم

وتغلب لوازمها على مطالب المعنى.

كان النحو العربي في بواكير فجره يعنى كثيرا بالتراكيب
وأقواها في التأثير وينبغي أن يعود النحو إلى دوره.
غادرت البلاغة العربية قمتها في عهد الجرجاني والزمخشري وانحدرت نحو منهج قام على
فكان في هذا طغيان الجانب العقلي
العلمي على الجانب الجمالي وينبغي إحياء منهج الإ
وإعادتها إلى وظيفتها.

نجد أن النحو والبلاغة قد اقتربا من التوحد فذلك كان شأنها أول أمرها
الواسعة الوهمية بينهما أضرت بهما ا إلى وظيفتها العملية في تناول
الأساليب اللغوية على نحو تعاوني تكاملي يحفظ لكل منهما دوره الأساسي الذي لا يتعارض
ه في مهمته إلى ما يشبه النحو البلاغي
في معالجة النصوص.

هذا المنهج التكاملي الطبيعي بين العلمين ينبغي أن يُعتمد في المناهج التعليمية الم
بغرض الوصول إلى نحو يُقنع وتقربهم من

إن كان إعداد مثل هذه المناهج الشاملة طموحا جامح فالبحت يدعو على الأقل إلى اعتناده في

بالاستناد إلى معطيات البلاغة اختيار الرأي النحوي الأقرب إلى المعنى والبلاغة.

فليس أقل من أن نبادر إلى تضمين مناهجنا التدريسية مواد مستقلة تعالج

وأساليب لغوية بأنظار نحوية بلاغية مشتركة في الأبواب التي يشتبك فيها

كالتقديم والتأخير والقصر ... الخ.

إن هذا البحث ينقد
البلاغي من خلال الاستعانة بالتراث نفسه
فهي يدعو إلى معالجات بعض الإشكالات في التراث النحوي
بألاستناد إلى ما فيه من أنظار صائبة متناثرة تكمن
في مجموعها نظرية لغوية رائدة تتقاصر أمامها أحدث النظريات اللغوية المعاصرة.

Methods of Syntax and Rhetoric between Independence & Integration

The paper investigates the relationship between Syntax and Rhetoric. It finds that both these disciplines have the same origin as reflected in their sources and objectives. The method of syntax, however, distinguished itself in regulating meaning and formation of sentence structures.

Rhetoric separated itself from Syntax in the early fourth century AH. This separation became clear in "Mfta al-Bal ghah by al-Sakk k ". Increasing emphasis on the issues of construction in the works on Syntax further widened this separation with the passage of time. However, Syntax and Rhetoric could not completely separate themselves from each other since their discussions continued to interpenetrate.

Our current curricula have been adversely affected by this division between the traditions of Grammar and Rhetoric. We still teach the two disciplines separately on the patterns of "Alfiyat by Ibn M lik" and "Mfta al-Bal ghah by al-Sakk k ". This continuous separation results in serious problems for teachers and learners.

Linguistic efficiency, however, calls for an integrative approach between Syntax and Rhetoric that brings them back as they were unified in the works of Al-Jurj n and Al-Zimakhshar . This approach is necessary to enable the two disciplines to perform their common function i.e. conveying the meaning and revealing the stylistic beauty.
